مجلة كلية الآداب (دورية أكاديمية علمية محكمة)

المغالطة الطبيعية في فلسفة الأخلاق عند بورتر

د .فتحي محمد نبيه شعبان

أستاذ مساعد بقسم الفلسفة

بكلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي

أبحاث

المغالطة الطبيعية
في فلسفة الأخلاق عند بورتر

د. فتحي محمد نبيه شعبان

مقدمة

اتخذت الأخلاقيات الحديثة أنساقاً من القيم المستمدة من الوقائع الفعلية في العالم المادي . وهذا راجع في أساسه إلى عدم تمييزها بين العالم المادي وبين العالم اللامادي أي "عالم القيم والأخلاق " . وهذه العملية تعرف اصطلاحاً بالمغالطة الطبيعية.

فالانتكاسة التي منيت بها الأخلاقيات الحديثة ترجع في أساسها كما لاحظ بورتر إلى المغالطة الطبيعية من جهة والاستغراق في الذات من جهة أخرى أو بالأحرى اختلال العلاقة بين ما هو حق وما هو خير . ففي حين أخفقت نظرية اللذة وتحقيق الذات والنزعة الطبيعية في التوفيق والتأليف بين الحق والخير نهضت أخلاق الواجب والأخلاق الدينية بهذه العلاقة بحيث أصبح ما هو حق تعريفاً لما هو خير .

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع هو رغبتي الشديدة للبحث في نشأة المغالطة الطبيعية كما وصفها بورتر باعتبارها العقبة الكئود التي اعترضت نظريات الحياة الخيرة في الوصول إلى المبدأ الأساسي في الأخلاق حين اشتقت القيم من الوقائع الفعلية في العالم المادي ، ومن ثم أخفقت في إيجاد توازن صحيح بين السلوك الذي يوصف بأنه حق والسلوك الذي يوصف بأنه خير، وفي ضوء هذا كله فقد وضعت هذه الدراسة تحت عنوان "المغالطة الطبيعية في فلسفة الأخلاق عند بورتر " .

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان كيف أن اشتقاق القيم من الوقائع الفعلية يقود بالضرورة إلى المغالطة الطبيعية وبيان كيف انحاز بورتر إلى الأخلاقيات الدنطولوجية أي الواجب نحو الإنسان [كانط] والواجب نحو الله [الأخلاقيات الدينية] وبيان كيف كان موقفه الأخلاقي معادياً لنظريات الحياة الخيرة لما انتهت إليه من المغالطة الطبيعية

والاستغراق في الذات . ولتحقيق ذلك فقد استخدمت المنهج التحليلي التاريخي والمقارن ومن هنا فقد قسمت هذه الدراسة إلى ما يأتي :

١ ـ فلسفة الخير .

٢ ـ نظريات الحياة الخيرة في الفكر القديم .

٣ ـ نظريات الحياة الخيرة ونشأة المغالطة الطبيعية في العصر الحديث .

٤ : النظرية الدنطولوجية .

فإذا كنت قد أصبت فهذا فضل من الله سبحانه وتعالى ، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

دكتور فتحي محمد نبيه شعبان

فلسفة الخيـــر

تتوقف فلسفة الخير في أساسها على تجنب كل السبل التي تقود إلى المغالطة الطبيعية ، والمغالطة الطبيعية تعني في أساسها اشتقاق القيم من الوقائع . وللإفلات من هذا المصير الذي انحدرت إليه كثير من نظريات الأخلاق ينبغي إتباع قواعد المعقولية من جهة ، وإيجاد تفاهم وانسجام بين الحق والخير من جهة أخرى ، ومن ثم يتعين علينا بحث هذين العنصرين بحثاً دقيقاً .

أولاً : الأخلاق وقواعد المعقولية :

١ ـ *الأخلاق :* وعلى العكس من العالم الذي يطبق المنهج العلمي الصارم على الوقائع الإمبريقية ، فإن الكتاب في مجال الأخلاق ينبغي أن يدافعوا عن قضيتهم بناءً على الأسس العقلية التي لا يمكن أن يبرهن عليها بصورة مطلقة . وعلاوة على ذلك ، فحتى بالرغم من كون طريقتهم منظمة ومنضبطة ، فإنها لا يمكن أن يتولد عنها استنتاج دقيق بسبب طبيعة التعقيد المادي . فالأخلاق تتعامل مع قضايا الحق والخطأ ومع قيم ومعايير السلوك، والحقوق والمسئولية ، المدح ، واللوم ، العدالة والالتزام ، الاستحسان والإدانة ، الواجب والإنصاف . وفي الواقع فإن مثل هذه المادة سوف لا تضفي على ذاتها المعالجة المضبوطة ، وبعض الناس يتساءلون عما إذا كان من الممكن أن تستمد مطلقاً إجابات موثوقة من تساؤلات أخلاقية . بل لم يعرفوا كيف أن تبرير الأحكام الأخلاقية لم يكن بنفس الطريقة باعتباره أحكام أخلاقية معروفة لا يمكن أن تبرر .[1] وبالنظر إلى الاختلاف الجوهري بين ميدان المنهج العلمي الصارم وميدان عمل الأخلاق فسنجد أن أي محاولة من جانب الأخلاقيين لاشتقاق القيم من الوقائع الفعلية أو تطبيق المنهج العلمي على قضايا الأخلاق ستؤدي بالضرورة إلى الوقوع في المغالطة الطبيعية .

---

1 - Porter Burton Frederik,The Voice Of Reason – [Oxford University Press US , 2001 . P : 316.] available From http . / / WWW . books . google ,Com –[accessed 27 July 2006]

إن علماء الأخلاق يستخدمون عادة معيار المعقولية حيث أن هذا الموقف الذي يكون أكثر اتفاقاً مع العقل يحكم عليه أنه صحيح . وإن الاستدلال الصحيح من الناحية العقلية قد لا يكون حقيقياً ولكنه على الأرجح يكون حقيقياً بصفة خاصة إذا كنا حريصين على تأسيس صدق المقدمات . [١] فمعيار المعقولية هو أساس أي نظرية متينة في الأخلاق . وإن الانحراف عن إتباع معيار المعقولية سيعرض بالضرورة النظرية الأخلاقية إلى الوقوع في المغالطة الطبيعية .

وبمزيد من التخصيص ، فإن معيار المعقولية يتضمن ثلاث معايير أساسية للنظرية الأخلاقية التي ستعتبر جديرة بالثقة فإنها ينبغي [١] أن تكون متوافقة مع نفسها ومع النظر إلى تطبيقاتها ، [٢] وأن تأخذ في الحسبان الدليل المناسب وألا تعارض ذلك الدليل، و [٣] وأن تزود بالتفسير الأكثر احتمالاً من التجربة الإنسانية . [٢] وفيما يلي توضيح هذه المعايير الثلاث .

٢ ـ *معايير المعقولية* : تتكون المعقولية من ثلاث مستويات الأول : وتنبعث فيه النظرية الأخلاقية الصحيحة انبعاثاً مستمراً وتزداد رفعة ورسوخاً بقدر بعدها عن التناقض ، إن هذه النظرية تحسب حساب [illegible] نظة على انسجامها وتطابقها مع نفسها [٣] . وثاني هذه المستويات أو القواعد يتحتم فيها على المفكر الحديث أن يلتزم بنتائج التحليل النفسي عند وضع النظرية الأخلاقية وألا يحيد عنها بأن يضيع نفسه في ضرب من المجردات مثلما فعلت الفلسفات الإغريقية بصفة عامة وخصوصاً فلسفة أفلاطون في نظريته عن الفضيلة . فالعوامل النفسية لا تعير اهتماماً للعقل بل لم تعبأ بما تقوم به غير مكترثة في ذلك بما يحدث من نتائج . [٤] والمستوى

---

1 - ibid P : 316 .

2 - Ibid P : 316 .

3 - Porter B . F . The Good Life Alternatives in ethics [Collier Macmillan Publishers London 1980] . P : 3 .

بورتر بيترون ـ الحياة الكريمة ـ ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود الجزء الأول ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ ص ١١

الترجمة ص ١٣ ـ ١٤ .

4 - Ibid : P: 4 .

الثالث : تصبح فيه النظرية الأخلاقية أكثر دقة وتميزاً وأشد تماسكاً من غيرها حين تنصرف عن كل تفسير لا تؤيده الخبرة البشرية وأن تتجه إلى التفسير الأكثر احتمالاً للتجربة الإنسانية أعني لا توجد ضرورة للربط مثلاً بين ما يحدث في الكون من كوارث طبيعية وأوبئة وأمراض وبين الطابع الأخلاقي للشخص ؛ فلا سبيل للقول بأن الكون ينطوي على مبدأ القصاص بحيث يعاقب المذنبين ويثيب المستقيمين . [1] تلك هي معايير المعقولية التي تحفظ النظرية الأخلاقية من السقوط في المغالطة الطبيعية إنها المعايير التي أصر على تقديمها بورتر @ واعتبرها أساس تكوين الأخلاق .

إن المعقولية كما حددها بورتر تناظر تلك النزعة الأمبريقية في مجال العلم ، والأخلاق تتألق في العالم اللامادي ، حيث أنها تختص بأحكام القيمة ومن ثم فلا شأن لها بالوقائع الفعلية في العالم المادي ، وأنها تقوم على ـ التقييم والتشخيص . إذن العلوم الفيزيائية والاجتماعية لا شأن لها بعالم التقييم إنه مجال البحث الأخلاقي ، والأخلاق من هذا المنطلق لا تعتد أساساً بالوقائع العملية في العالم ، لأن أحكام القيمة لا تتأسس على معلومات فعلية ، والأخلاق يمكن أن تسير إلى الوقائع عندما تستنتج متضمنات أية نظرية أو عندما تبين العلاقة بين السلوك الفعلي والسلوك المثالي ولكنها لا تستخدم الوقائع كأساس لأي نسق من القيم . [2] إن هذا التمييز بين ميدان الأخلاق وميدان العلم تمييز ضروري للغاية ، إذ لابد لعالم الأخلاق أن يضعه نصب عينيه عند تأسيس نظريته الأخلاقية حتى لا يصطدم بالمغالطة الطبيعية أي اشتقاق القيم من الوقائع . وعلى هذا

الترجمة ص : ١٤ ــ ١٥ .

1 - Ibid PP : 5 -6 .

@ بيرتون ف . بورتر هو مفكر إنجليزي وعالم أخلاق معاصر وأستاذ للفلسفة في كلية western new England . وهو مؤلف كتاب الحياة الكريمة : البدائل إلى الأخلاق (٢٠٠٠) فلسفة : أي نظرة أدبية وتصورية ، (١٩٩٨) ، تأمل من أجل الحياة: أي أخلاق أساسية (١٩٨٨) ، فلسفة شخصية : نظرات في الحياة (١٩٧٩) ، الألوهية والأخلاقية (١٩٦٨) ، بالإضافة إلى المقالات العديدة في المجالات المختلفة .

Available from http . // WWW . Books . google . Com . [Accessed 22 July 2006]

الترجمة ص ١٩ ـ ٢٠ .

2 - Ibid PP : 8 – 9 .

الأساس تختلف الأخلاق عن العلم اختلافاً جذرياً ، فللعلم مجاله الخاص ، وللأخلاق مجالها المستقل تماماً عن العلم .

والأخلاق التي تنسج لها أنساقاً من القيم على أساس نتائج علم النفس أو نظرية التطور ترتكب خطأ منطقياً لاستخلاصها نتائج تقييمية من مقدمات وصفية ، وهذا ما يعرف اصطلاحاً باسم (المغالطة الطبيعية) Naturalistic Fallacy . فالمنطق ينص على أن نتيجة أية حجة استنباطية سليمة لا يمكن أن تتضمن شيئاً ليس موجوداً في المقدمات ، فليست المصلحة الذاتية أو الانتخاب الطبيعي في مقدورهما أن ينتجا أخلاقاً فعالة ، وباختصار تذكرنا المغالطة الطبيعية بأنه لا علاقة بين ما يفعله الناس وبين ما ينبغي عليهم أن يفعلوه [1] وبعبارة أخرى فإن المغالطة الطبيعية تعمل عملها داخل الأخلاق حين تخرج النظرية الأخلاقية عن قواعد المعقولية بأن تغرق نفسها في مجال العلم .

ثانيـــا : استبعـــاد التناقض الذاتي :

ذكر بورتر في كتابه The Voice Of Reason* إن أهم العناصر في التفكير الصحيح هو الاحتفاظ بالتجانس . فكل الأجزاء في الجدل ينبغي أن تكون في اتفاق

---

1 - A : Ibid PP : 9 – 14 .

الترجمة ص ٢٠ ـ ٢٦ .

B : Weitz – M . Twentieth – century philosophy : The Analytic tradition [Collier – Macmillan Limited, London , 1968] PPP : 79 – 80 – 84 .

* إن صوت العقل : أي أسس التفكير النقدي تتناول ثلاث ميادين أساسية وهي : الفكر واللغة ، والتأمل المنظم ، وأنماط البرهان . إنه يستخدم تفسيرات سهلة الوصول جداً ومجموعة من الأمثلة المشتقة من القضايا الاجتماعية والميادين الأكاديمية المختلفة ، توضح كيف يؤسس وينتقد الطلاب والقراء الآخرين الحجج مستخدمين تقنيات التأمل الصحيح .

ويفحص صوت العقل ميدان العناصر التقليدية وأيضاً يكتشف أرضاً جديدة . فالقسم الأول من الكتاب يوضح العلاقة بين الفكر واللغة ، مفسراً وظيفة الكلمات . ويناقش المعنى ، والتصور ، والغموض ، والتعريف ، وتمييز العناصر اللغوية التي يمكن أن تتولد عنها الأخطاء في التفكير . ويصف القسم التالي قواعد التأمل المنظم ، ويفحص مثل هذه الموضوعات كحقيقة ، وصلة ، وكفاية ؛ المنطق الاستدلالي (مقولي ، وافتراضي ، ومطلق) ؛ واستقراء (سبب ، وتأثير ، وتشابه ، وتعميم ، وفرضية) . وستة عشر مغالطة في التفكير تصف أيضاً من خلال

منطقي، منحدرة معاً في طريقة منسقة ، وأن تكون مترابطة الواحدة منها بالأخرى ، وبطريقة مقلوبة ، ولو قصدنا التناقض يكون الهدم بأن نفتقد المصداقية بأسرها . إن التفكير النقدي ربما يبدأ في الواقع بالإدراك أننا لا يمكننا أن نطالب بشيء ونطالب في نفس الوقت بضده . والواحد ينفي الآخر ، وكذلك لكي تؤكد شيئاً هو أن تنكر ضده ؛ فالاثنان لا يمكن أن يكونا حقيقيين لأنهما صفتان متبادلتان .

فهذا المبدأ الأساسي للتأمل يسمى قانون عدم التناقض - قاعدة الفكر الأولى شكلها الفيلسوف الإغريقي القديم أرسطو . إنها تقرر أن القضية لا يمكن أن تكون مثبته ومنفية في نفس الوقت ، لأن ذلك يجعل عدم الإحساس بعملية التفكير العقلي كلها . وقانون عدم التناقض هو تعبير عن الحس المشترك الأصلي وتأسيس التأمل في صورته الذاتية الأكثر وضوحاً .

وبالنسبة للفرض الملائم ، فإننا يمكن تقسيم التناقضات إلى ثلاث أنواع : تناقضات في النظريات ، وفي البيانات ، وفي الأفكار . وبصورة واضحة فكل نوع يجب أن يحذف من فكرنا . (1)

ثالثاً : الحق والخير :

=الإيضاحات والتطبيقات الشاملة . ويعرض القسم الأخير من الكتاب الدراسة الفريدة بما يشكل البرهان في عدة مواضع مختلفة ـــ متضمنة السياسة ، والإعلان ، والقانون ، والقضايا الاجتماعية ، بالإضافة إلى المجالات الأكاديمية للأدب ، والعلم ، والتاريخ ، والأخلاق . ويصف المؤلف القواعد المختلفة للبرهان ، مستعملاً مقالات بالأرقام الرئيسية في كل مجال كأمثلة . والنص المثالي للفصول في التفكير النقدي والمنطق الصوري ، والتأمل والكتابة ، فإن صوت العقل يعرض ميزات تربوية عديدة تتضمن مجموعة كبيرة من الأمثلة ؛ أي المهام والتدريبات ، وألغاز في كل من نقطة المنتصف وفي نهاية كل فصل ؛ الصور المتحركة والاقتباسات في كافة النواحي ؛ وتطبيقات عملية للمفاهيم النظرية . ويحتوي البرهان المدرب الشامل للإجابات في التمارين التي تظهر في كافة أنحاء النص .

Available from http. / / WWW . Books . google . Com . [accessed 27 July 2006]

1 - Porter , the voice of reason , PP : 3 – 4 .

١ - الحـــق :

يقول بورتر إن " الحق يشير إلى الأفعال الصحيحة أخلاقياً ، وتتمثل عادة في مصطلحات للقواعد المصنفة للسلوك " [١] وثمة مسألة ترتبط بمفهوم الحق وهي "الاستثناءات" exceptions . فيقرر بورتر أنه في ضوء الاستثناءات المتعددة للمبادئ التي ترد فوراً إلى الذهن يتضح أنه من الصعب الدفاع عن أي مبدأ والحكم بأنه حق . حيث توجد مشكلات تتعلق بكل قيمة يمكن تصورها [٢] . في هذه النظرية سنلاحظ أن بورتر لا يريد أن يضع قيماً عامة مطلقة كما فعل كانط حيث رفض هذا الأخير وجود استثناءات للمبادئ الأخلاقية على الإطلاق .

ولقد نشأت الصعوبات التي تأتينا من الزعم بأن الاستثناءات تقلب المبادئ . غير أنه بالإشارة إلى هذه الحقيقة فإن الاستثناءات تعزز المبادئ العامة . ومن ثم فوجود استثناءات كالأمانة والمحافظة على الحياة والحفاظ على الثقة ... .. الخ فإنها لا تلغي هذه المبادئ ، ولكنها بالأحرى تعزز صحتها العامة وإذا جاءت الغلبة للحالات المعارضة على الحالات المؤيدة عندئذ سيتعين علينا بالطبع إعادة النظر في المبدأ العام ، بيد أننا لا نفعل ذلك عندما تكون الأمثلة المعارضة قليلة العدد . وبالإضافة إلى ذلك ، إذا اعتقد أن المبدأ قانون مطلق فإنه سيتعرض للهدم إن وجدت أية استثناءات له لأن الاستثناء يضعف القوانين أما إذا نظرنا إلى المبادئ على أنها قواعد عامة أو ما يسمى باللغة الاصطلاحية Prima Facie Obligations (واجبات واضحة) فإنها ستدعم أحقية المبادئ العامة [٣] . ومن هنا يؤكد بورتر أن ميدان البحث الأخلاقي يختلف عن ميدان البحث في العلم ، فالاستثناءات في ميدان العلم تضعف القانون العلمي ، بينما الاستثناءات في مجال الأخلاق تعزز المبدأ العام، هذا ما استخلصه بورتر . وما أراد أن يثبت من خلاله إخفاق الأخلاق الكانطية التي ترفض وجود حالات استثنائية .

---

1 - Porter B . F . , The Good Life, P : 31

ـــ بورتر - الحياة الكريمة - ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود -الجزء الأول ص ٤٥ الترجمة ص ٤٦ .

2 - Ibid : P : 32 .

الترجمة ص : ٤٦ ـ ٤٧ .

3 - Ibid : PP : 32 – 33 .

٢ - الخيـــر :

يقول بورتر " إن الخير يستخدم كمقابل للحق للدلالة على الأهداف الجديرة بالاتباع في الحياة ، والغايات المرغوبة أخلاقياً للوجود التي يتطلع البشر إليها . ويشير اللفظ إلى المعنى الأساسي الذي يوجد وراء الاختيارات الإنسانية ، والسبب الأصلي للحياة أو الموت [١] ، ويقول أيضاً أن " الخير ينطبق على الغايات والأهداف أو أغراض الوجود والأسباب الأساسية للعيش تبعاً لأساليب معينة ومعتقدات معينة للسلوك " [٢] وعند بورتر أن فلسفة الخير فلسفة شاملة تستوعب في جوفها معاني كثيرة ومتعددة .

إنه يرى أن بعض الناس يرون في السعادة هدفاً للحياة وغاية قصوى تحفز أفعالهم. ويعتقد آخرون أن اللذة هي ما يجب السعي من أجله ، باعتبار اللذة ممثلة للناحيتين الجسمانية والحسية في السعادة أكثر من تمثيلها للحالات الفكرية أو الروحية ، وقد ينظر إلى تحقيق الشخص لذاته كمثل أعلى أو على أنه إقتداء بالطبيعة ، أو على أنه أداء للواجب نحو الله أو البشر ، أو بمعنى البلوغ بتجربة الوجود حدها الأقصى ، فثمة إمكانيات لا تعد ولا تحصى ، لا يلزم أن تجئ في صورة بدائل ، حيث إن فلسفة الخير كما يرى بورتر تستطيع التأليف والتركيب بين عدة معاني في ذاتها ، ويشترط أن لا يستبعد أي معنى منها المعاني الأخرى[٣] . وخلاصة هذا أن بورتر يسعى إلى بناء فلسفة للخير تستوعب جميع المعاني المتعارضة ، بيد أنه لم يبين كيف تقوم فلسفة الخير وكيف تترابط فيها العناصر المتنافرة ، إنه يصور لنا صراعاً بين نظريات الحياة الخيرة دون أن يكون قادراً هو نفسه على حسم ذلك الصراع بأن يؤسس مذهباً شاملاً يضمن مزايا هذه النظريات المتصارعة .

نظريات الحياة الخيرة في الفكر القديم

تتجلى الأخلاق القديمة في ثلاث صور رئيسية هي :

الترجمة ص ٦٣ .

1 - Ibid : P : 44 .

الترجمة ص ٤٣ .

2 - ibid : P : 26 .

الترجمة ص : ٦٤ .

3 - Ibid : P 45 .

نظرية تحقيق الذات ، ونظرية اللذة ، والنظرية الطبيعية "الترانسندنتالية" . إن هذه النظريات التي نبتت في العصر القديم تتسم بأنها " غارقة في الذات " Self-indulgent by comparison ولما كانت هذه الذات هي محورها وهدفها الأساسي سواء من خلال تطوير الطبيعة الإنسانية أو من خلال العيش وفق الطبيعة فإنها أخفقت جميعاً في الوصول إلى العلاقة الصحيحة بين ما هو حق وما هو خير [1] . طبعاً هنا لا يتكلم بورتر عن المغالطة الطبيعية ، ولكنه يريد أن يلفت انتباهنا إلى أن الأخلاقيات القديمة تمركزت حول الذات ولم تعر اهتماماً إلى المجتمع . وفي هذا الإطار تبرز مسيحية بورتر وهي التي تقوم على إنكار الذات والعمل من أجل الآخرين . وسنحاول الآن إلقاء الضوء على هذه النظريات :

أولاً : نظرية تحقيق الذات في الفكر القديم (أرسطو)

إن الخير عند أرسطو هو الشيء الوحيد الذي تهدف إليه جميع الأشياء ، فالهدف الذي يشير إليه أرسطو هو الغاية القصوى لجميع الأفعال . وأما الخير فيعرفه بأنه الأوديمونيا Eudemonia وهو الوجود الحيوي الخير أو اكتفى بترجمتها إلى كلمة سعادة Happiness فالأوديمونيا تؤخذ على أنها الخير الأقصى [high test good] summum bonum الذي يستطيع الإنسان بلوغه . ويعتبر أرسطو أن إتباع العقل أقصى فعل يمكن للبشرية تحقيقه ويمثل أكمل تطوير للكائن البشري ، إنه يرى أننا إذا تأملنا الأشياء الأبدية بتبصر فإن هذه الفعلة ستمثل خيراً في ذاتها [2] وطالما أننا نعتقد أن إدراك الحق والخطأ يعتمد على معرفة الخير الأوحد في ذاته ، وهو جوهر مفارق أو ترنسندنتالي في وجود غير مؤثر عن طريق محددات الحوادث الخاصة والمؤقتة ، فإنه لا يمكن لنا اعتبار الأخلاق شيئاً آخر سوى أنها فرع من فروع الميتافيزيقا . فالفيلسوف

---

1 - Porter B . F . The Good Life P : 190 .
بورتر الحياة الكريمة الجزء الثاني ص ٩٧ـ ٩٨ .

2 - Ibid P : 131 – 135 .
الترجمة ص : ٢٣ ـ ٢٤ .

الحق يستطيع معرفة أسباب السلوك "الحق" وعلته [1] فالأخلاق على هذا النحو تعتبر فرعاً من فروع الميتافيزيقا .

والنتيجة التي استخلصها بورتر من خلال بحثه في الأخلاق الأرسطية هي أن أرسطو بذل كل طاقاته في البحث في طبيعة الخير الأقصى للإنسان . ومن هنا فلا شأن له بما هو "حق" حيث أن الخير عنده يتحقق حين نتأمل الأشياء الأبدية . ومن هذه الناحية يصنف بورتر نظرية أرسطو ضمن نظريات تحقيق الذات .

ثانياً : نظرية اللذة في العصر القديم " القورينائية والأبيقورية " :

ويقودنا بورتر بعد هذا إلى البحث عن اللذة قديماً عند القورينائيين والأبيقوريين فيرى أن الفكر القديم قد نشط في البحث عن اللذة الفردية وبالذات في صورتيها القورينائية والأبيقورية فاهتمت الأولى بالبحث عن اللذة الحسية بينما اهتمت الثانية بالبحث عن اللذة العقلية ، فالقورينائية تطلق طاقاتها في السعي نحو اللذة الفيزيائية التي تمتاز بالقصر والمباشرة والفورية والشدة ، ولكنها تريدها لنفسها ، أما الأبيقورية فإنها تبحث عن السعادة العقلية التي تمتد في الحياة بكاملها ، وأن تمتاز بالسكينة ولكنها تريدها لنفسها أيضاً ، فلا القورينائية أو الأبيقورية تهتمان بأن تمتد اللذة أو السعادة إلى الآخرين . فليس هناك مجال للاهتمام بالإيثار أو الإنسانية ، إنهما لا يتبعان أية أخلاق جماعية [2] ومن هنا ينصب اهتمام القورينائية والأبيقورية حول اللذة ، واعتبار السعي الدءوب نحوها خيراً، وشأن القورينائية والأبيقورية شأن أرسطو الذي تركز اهتمامه على الفرد وليس المجتمع ، ومن ثم فلا سبيل للبحث عن التوفيق بين الحياة الخيرة والحياة الحقة .

---

1 - Guthric W.K. The Greek philosophers from theles to Aristotle [Published as a University paperback , 1981] PP : 149 – 150 .

2 - Porter B . F . The Good Life P : 103 .

– بورتر – *الحياة الكريمة* – ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود الجزء الأول ص١٣٤.

ثالثاً- أخلاق النزعة الطبيعية في العصر القديم (الترانسندنتالية) :

أما النزعة الرواقية فإنها تعترف بوجود فكرة مقدسة تنتشر عبر الطبيعة وتعتبر قوة عقلانية ولذلك يمكن إدراكها من خلال عقل الإنسان . وتسمى هذه القوة باللوجس أي القوة الفعالة المقدسة العقلانية التي تشكل كل جوانب الكون . فجميع المظاهر في الكون الخارجية والداخلية كلها تعبير عن اللوجس ، والقوة الروحية الكاملة ترتب جميع أحداث الطبيعة بصورة عقلانية وهادفة ، ومن ثم فلا شيء يحدث عبثاً أو مصادفة في هذا العالم المحفوف بالعقل المقدس . ومن ثم فإن خير الإنسان يتحقق عندما يتم التوافق بينه وبين أهدافه الكائنة. فعلينا أن نحيا في انسجام تام مع الطبيعة وأن نعمل بإتباع العقل عند انتقاء ما هو طبيعي ، ومن هنا فلا شيء يتصف بطبيعته يمكن أن يكون شراً تبعاً لأي مفهوم [1] . لهذا كله نرى أن الرواقية هي الأخرى لم تتجه إلى البحث في طبيعة ما هو حق. وكانت الرواقية أيضاً غارقة في الذات ولم تهتم بالمجتمع ، لذا فشأنها شأن الأخلاق الأرسطية والأخلاق القورينائية والأبيقورية . فهذه الأخلاقيات كلها كانت بعيدة تماماً عن الروح المسيحية التي تهتم بالإيثار . وهذا ما أراد أن يوضحه بورتر من خلال بحثه في نظريات الحياة الخيرة في العصر القديم .

نظريات الحياة الخيرة ونشأت المغالطة الطبيعية في العصر الحديث

أولاً : المغالطة الطبيعية ونظرية اللذة في العصر الحديث :

تمثل اللذة تاريخياً جوهر الأخلاق في الفكر القديم عند القورينائية والأبيقورية ، وفي الفكر الحديث عند بنتام ومل ، فقديماً اتخذت الأخلاق طابعاً فردياً وحديثاً اتجهت الأخلاق نحو المجتمع ، " فهذا المذهب الذي يؤكد على اللذة أو السعادة باعتبارها هدفاً للحياة يسمى مذهب اللذة Hedonism [2] ويدخل ضمن البحث في نظرية اللذة التمييز بين مذهب اللذة النفساني ومذهب اللذة الأخلاقي psychological and Ethical

---

1 - Ibid PP : 152 – 153 .

- بورتر - الحياة الكريمة ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود - الجزء الثاني ص ٥٣ - ٥٤ .

2 - Porter B . F . The Good Life P : 92 .

- بورتر - الحياة الكريمة - ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود - الجزء الأول ص

Hedonism وتسفر هذه المقارنة عن وجود ثلاث نقاط رئيسية الأولى فيها تقوم على أساس وصف وتفسير السلوك الإنساني الفعلي وهذا هو الدور الحقيقي لمذهب اللذة النفساني ، والثانية تقوم على أساس النهوض بالسلوك الإنساني وتعديله وتهذيبه بحيث يتطابق مع ذلك العنصر الطبيعي في الإنسان " اللذة " والثالثة هي مغالطة الطبيعة التي تنشأ من محاولة التطابق بين السلوك الأخلاقي والسلوك الفعلي للإنسان [١] أو بعبارة أخرى استخلاص القيم من الوقائع النفسانية. وهذا هو هدف مذهب اللذة الأخلاقي .

إن الأخلاق الحقيقية هي الأخلاق التي تعمل على إيجاد انسجام وتفاهم بين الحق والخير . يقول بورتر " إن ما هو حق وما هو خير بصورة مثالية يتعين وجود صلة تناغمية بينهما على أساس أن الخير يتحقق عن طريق إتباع ما هو حق " [٢] وبالنظر إلى مذهب المنفعة نجد أن الفعل يكون حقاً إذا أفاد في تحقيق السعادة ، ونظرية تحقيق السعادة تختص بتفسير اللذات ، فاللذة تكون خيرة والألم أو غياب اللذة يكون شراً . فالأفعال تعد حقه إذا حققت الخير وابتعدت عما هو شر ، وبمزيد من الدقة إن الفعل الذي يعد حقاً هو ذلك الفعل الذي ينبغي علينا القيام به ، إذا بدا لنا أنه يحقق مزيداً من السعادة ، أو يمنع المزيد من عدم السعادة ، أكثر من أي فعل اختياري متاح لنا [٣] . إن مشكلة الأخلاق النفعية تكمن في وجود انفصال بين مفهوم الحياة الخيرة وتصور السلوك الذي يعد حقاً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أنها أصبحت فريسة للمغالطة الطبيعية وذلك باشتقاقها القيم من الوقائع الفعلية .

وكتب بورتر في إطار هذا الموضوع يقول " إن المذهب النفعي فيما يبدو قد قدم نظرية في الخير كثيراً ما اختلفت عن مستويات السلوك الحق . ولا ينطبق هذا الانفصال على موقف بنتام الأخلاقي وحده ، وإنما أيضاً على المذهب النفعي بصفة عامة . فالفعل اللاذ بقدر كبير لا يتصف بأخلاقياته ، حتى وإن استمتعت به أعداد كثيرة " [٤] بهذا

---

1 - Ibid PP : 92 – 94 .
2 - Ibid P : 46 .

الترجمة ص ١٢٠ ــ ١٢٣ .

ـ الترجمة ص ٦٥ .

3 - Raphael D . D . Moral philosophy – Second Enlarged Edition[Oxford University Press , 1994] P : 34 .
4 - porter B . F . The Good Life P : 109 .

ـ بورتـــر ـ الحياة الكريمة ـ ترجمـة دكتور أحمد حمدي محمود ـ الجزء الأول ص ١٤٢ .

أخفقت الأخلاق النفعية في إيجاد علاقة صحيحة بين ما هو حق وما هو خير ، وظلت غارقة في اللذة . لكنها في نظر بورتر لم تتمركز حول الفرد كما هو الحال في الأخلاقيات القديمة وإنما امتدت إلى المجتمع وقد حدث هذا بفضل المسيحية .

إن بنتام وهو الذي قال في أسلوب واضح وصريح عن كلمات مثل " يتعين " و "حق" تتضمن معنى فقط حينما تطبق على الأفعال وتتكيف مع مبدأ المنفعة ، وتكون فقط مظهراً للاستثناء . وكما اقترح الأستاذ استيورت هامبشير ، أن اهتمام بنتام الحقيقي هو استبدال هذه "الأخلاق" الفارغة برمتها بهندسة علمية اجتماعية ، مسترشداً على وجه الحصر بإحصاء أقصى سعادة اجتماعية [1] . إن بنتام يشرح مبداه الأساسي . بقول سيد جويك إنه " يعرض أقصى سعادة لكل المهتمين بالسؤال عن الحق والنهاية المطابقة للفعل الإنساني " ويرى مور أن بنتام يقصد بكلمة "حق" الطريق إلى السعادة العامة . ويرى البروفيسور سيد جويك أننا إذا وضعنا هاتين الجملتين معاً فإننا نحصل على نتيجة لا عقلية وهي أن أعظم سعادة هي نهاية الفعل الإنساني الذي يقود إلى السعادة العامة [2] .

إن اهتمام بنتام الرئيسي يتركز أساساً على السياسة ، وإن كتابه الهام في ميدان الأخلاق عنوانه " بحث في الحكومة " الذي يهتم فيه بالأخلاق ، لأنه كان يريد فقط أن يعرف ما هي منابع السلوك البشري الذي ينبغي للمشرع أن يضعها في اعتباره لكي تحقق تشريعاته نتائج اجتماعية نافعة [3] . إن النزعة الطبيعية باختصار في مجال السياسة هي أن يحل علم نفس الفرد محل علم نفس شخص الدولة ، ولا يسهم كل واضع نظرية الدولة بنصيب في هذا التطور القلق ، وبنتام مع ذلك قام بهذا العمل بمعارضة وحذر كبيرين ، وفضل أن يتكلم عن " المجتمع السياسي " بدلاً من " الدولة " فلم يميز المجتمع

---

1 - Aiken H . D .Reason and Conduct [New York : Alfred .A . Knopf 1962] P : 55 .

2 - Weitz M . Twentieth ,Century Philosophy P : 82 .

٣ ــ دكتور إمام عبد الفتاح إمام ــ *فلسفة الأخلاق* ـ[دار الثقافة للنشر والتوزيع] ١٩٨٨ ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

السياسي عن الحكومة المتماسكة أو عن أي هدف [1] وخلاصة هذا أن ما كان يهدف إليه بنتام هو أن تكون الأخلاق هي طريق السياسة السليمة .

لقد بدد بورتر كل آمال الأخلاق النفعية وقوض دعائمها أيضاً دون أن تكون لديه القدرة على تقديم نظرية في الخير أشد تماسكاً وأحكم منطقاً من الأخلاق النفعية فبين أن الأخلاق النفعية يعوزها التوافق مع نفسها وأنها قد منيت بانتكاسة شديدة حين اشتقت القيم من الوقائع . فاللذة هي أساس الأخلاق النفعية يستحيل التعبير عنها بلغة الكم ، ومن ثم فلا سبيل إلى إقامة علم أخلاق حسابي والخطأ الذي وضع بنتام نفسه فيه هو الخلط بين اللذة والأخلاق . ويؤكد بورتر أن بنتام قد أنساق وراء مذهب اللذة النفساني والأنانية النفسانية وانصاع إليهما أيضاً . إنه انحدر إلى المغالطة الطبيعية ، وامتدح أيضاً جعل دور اللذة بلا مبرر على الإطلاق [2] . ونظراً لأنه لم يتبع قواعد المعقولية فإنه أخفق في الوصول إلى إيجاد تناغم وانسجام بين تصور الخير وبين تصور السلوك الذي يعتبر حقاً، ومن ثم فإنه انتهى بالأخلاق إلى المغالطة الطبيعية .

أما مل ، فقد نظر إلى مذهب بنتام على أنه مشروع "هندسي" [3] . فمذهب اللذة عند مل لابد أن يأخذ في الحسبان جانب الكيف في اللذة qualitative aspect of pleasure إذ إنه يعترف بالحاجة إلى التعديل والتهذيب للمذهب النفعي ، بالرجوع إلى عامل الكيف ويرى مل أن أسمى اللذات هي التي تختارها الأغلبية الساحقة [4] . فالفعل الذي يوصف بأنه حق هو الذي تختاره الأغلبية الساحقة ، ومهما يكن من شيء فإنه لا توجد علاقة بين السلوك الحق وبين الفعل اللاذ حتى وإن اختارته الصفوة أو أهل الدراية.

---

1 - Nacy – Rosenblum , Bentham's Theory Of Modern stste , 1978 , P : 72 .

2 - Porter B . f . The Good Life PP : 108 – 109 .

ـــ بورتر ـــ الحياة الكريمة ـــ ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود ـــ الجزء الأول ص١٤١ ـــ ١٤٢ .

3 - Ellis H . The Dance Of Life – The Modern Library [new York 1929] P : 94 .

4 - Porter B . F . The Good Life P : 111 .

ـــ بورتر ـــ الحياة الكريمة ـــ ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود ـــ الجزء الأول ص١٤٤ ـــ ١٤٥ .

ومل شأنه شأن بنتام الذي اشتق القيم من الوقائع . وبإضافة عامل الكيف إلى الأخلاق النفعية فإن "مل" قد تجاوز حدود المذهب النفعي [1] وأخيراً يلاحظ بورتر وجود مفارقة تعمل عملها داخل مذهب اللذة، فاللذة أو السعادة فيه يعبر عنهما بصورة غير مباشرة ، ومن ثم تكون اللذة نتيجة عابرة تتحقق عندما نكمل إنجازاً ، إن وجه المقارنة يكمن في اعتبار البحث عن السعادة عمداً أمراً غير موفق . ويصطدم الذي بمفارقة أخرى ، عندما يرى أن الدفاع عن السعادة يساعد على إنقاص احتمال تحقيق الأشخاص لها [2] . فالأخلاق عند مل كما هو واضح لم تفلح في إيجاد انسجام وتناغم بين الحق والخير وأنها لم تستطع أن تنجو من المغالطة الطبيعية وهي المصير الذي آلت إليه الأخلاق النفعية بصفة عامة . بهذا يكون بورتر قد استنفد كل ما لديه من انتقادات للمذهب النفعي .

ثانياً : نظريـــة تحقيق الذات :

يرى بورتر أن العمليات التي تغوص في أعماق الذات الإنسانية وتنشط في تحديها بحثاً عن ذخائرها وتطويرها تسمى بتحقيق الذات . إن هذا المذهب لا يتخذ السعادة غاية قصوى له وإنما هو الهدف النهائي لكل فعل أخلاقي ، واكتمال قدراتنا تعد الهدف المثالي له . وإن القيم فيه تشتق من السعي والعمل الدءوب نحو تطوير إمكانياتنا ومواهبنا الفعلية وقدراتنا أيضاً تطويراً تاماً سواء بالنسبة لطبيعتنا الإنسانية أو بالنسبة لشخصيتنا الفردية .

وحول هذه النقطة بالذات يؤكد بورتر أن الذات الإنسانية في صيرورة دائمة وتحول مستمر لا يتوقف أبداً ، ومن ثم يستحيل علينا بلوغ الكمال على الإطلاق . ويؤكد أيضاً أن مذهب تحقيق الذات اضطر للإفلات من الهاوية إلى الاعتراف بأن الميول السائدة ينبغي تطويرها تطويراً كاملاً بحيث تتخذ الصدارة وتتحكم في الميول الأقل منها شأناً . ويخلص بورتر إلى أن تحقيق الذات ليس بالضرورة وسيلة إلى السعادة ، وإنما هو في ذاته هدف نهائي للفعل ، وبهذا المعنى يسير قدماً مع السعادة ، ويكون منافساً لمذهب اللذة بوصفه

الترجمة ص ١٤٦ ــ ١٤٧ .
الترجمة ص ١٤٩ .

1 - Ibid PP : 112 – 113 .
2 - Ibid P : 114 .

نظرية في الحياة الخيرة [1] ويقول بورتر " إن مذهب تحقيق الذات ، بوصفه نظرية للخير يمكن أن تختلف عما هو حق إذ لا يمكنها أن تقبح الأفعال اللاأخلاقية التي تقود إلى تحقيق الحاجات والمصالح الأولية لشخص ما . وفي كثير من المواقف ، وعندما نحقق ذواتنا ، فإننا لا نتصرف بطريقة صحيحة ، ولو أن مذهب تحقيق الذات اضطر بطبيعته إلى قبول مثل هذا السلوك ، فإنه عندئذ سيكون قد ارتكب نقصاً أخلاقياً فادحاً " [2] من هنا نلاحظ وجود خلل وانفصال أيضاً بين تصورات الحق والخير، فنظرية تحقيق الذات على هذا النحو يمكن أن تختلف عما هو حق .

وبالرجوع إلى قواعد المعقولية اكتشف بورتر أن نظرية تحقيق الذات أخفقت في الوصول إلى المبدأ الأساسي في الأخلاق سواء في اهتمامها باكتمال قدراتنا أو بتحقيق الميول السائدة . فهي أولاً لم تكن متوافقة مع نفسها وثانياً لم تراع الوقائع النفسانية . ففي حالة التحقيق الكامل لقدراتنا يؤكد بورتر إن كل إمكانات الطبيعة الإنسانية ليست خيرة فإلى جانب وجود الميول الخيرة توجد أيضاً ميول أخرى شريرة ، وتمشياً مع النظرية فإنه إذا اعتبرت ميولنا السائدة موجبة ، فإن ميولنا الأهون شأناً ينبغي تنميتها أيضاً وستشتمل هذه الميول الأخيرة ضمناً . وبالضرورة على بعض جوانب سالبة [3] فنظرية تحقيق الذات بوصفها نظرية للخير ، يمكن أن تختلف عما هو حق . وذلك لأنها لم تتبع قواعد المعقولية.

ويقودنا بورتر إلى نقطتين أساسيتين ترتبطان تماماً بنظرية تحقيق الذات ونعني بهما تحقيق الإنسانية أو تحقيق الفردية . ومن جهة تحقيق الإنسانية نجد أنه يؤكد أن الإنسان ليست له طبيعة مميزة تميزة عن سائر الخلائق . فاللغة وتذوق الفن والدين والذكاء وغير ذلك من التعريفات التي تحاول أن تفسر الطبيعة الإنسانية وتميزها عن غيرها إنما هي تعريفات يكتنفها الكثير من الغموض ، كما أنها محفوفة بالصعوبات . بيد

---

1 - Porter B . F . The Good Life PP : 117 – 121 .
ـ بورتر ـ الحياة الكريمة ـ ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود ـ الجزء الثاني ص٥ ـ ١٠ .

2 - Ibid PP : 129 – 130 . الترجمة ص ٢٢ .

3 - Ibid P : 127 . الترجمة ص ١٨ .

أن الإنسان كما يرى بورتر - يتربع دائماً على قمة هذه الخصائص . [1] وبهذا المعنى لن يستطيع المرء تحقيق إنسانيته طالما أنه لا يوجد تعريف محدد ودقيق ينطبق تماماً على الجنس البشري . تلك هي وجهة نظر بورتر. بيد أن هذا الموقف لا يمكن الاعتماد عليه ، فثمة تعريفات لم يشر إليها بورتر ، منها أن الإنسان يتميز بأنه " مخترع " Sapiens وليس " حكيم " Faber [2] والإنسان يتميز كذلك بأنه كائن أخلاقي .

ويمكننا أن نسمى الإنسان كائناً أخلاقياً بينما لا نسمى الحيوان كذلك ، إذ لا معنى للحديث عن قيم ومبادئ خلقية وسلوك خلقي ومسئولية وجزاء في عالم الحيوانات . يبدو أن الأخلاق مرتبطة بالاختيار ، ويقوم الاختيار على الوعي بمبادئ وقواعد يسلك الإنسان وفقاً لها ، ولا ترتبط هذه القواعد والمبادئ بالغريزة والحاجة القريبة دائماً ، لكن سلوك الحيوان محدود بحاجاته القريبة فقط [3] . من هذا نلاحظ أن الإنسان يتميز عن غيره تميزاً جذرياً . وأن الحجج التي يكيلها بورتر لإثبات فساد هذه القضية لا أساس لها من الصواب .

ومن جهة الفردية اكتشف بورتر أن هوية النفس لا تتألف من أية مظاهر فيزيائية على الإطلاق . ولكن التغيرات الفيزيائية تحدث بكل تأكيد رد فعل داخلياً نحو هذه المتغيرات . وهي لا تزيد عن كونها تغيرات خارجية . وبالنسبة للعقل يرى بورتر أن أي تغير عقلي كبير بالمقارنة بأي تغير فيزيائي كبير يمكن بسهولة إدراكه كتغير في الهوية . ومع هذا فهناك صعوبات قد تتولد عن تفسير النفس على هذا النحو ، فعلى سبيل المثال أننا إذا استأصلنا العقل من جسد شخص ما ، فسيصعب التعرف عليه والحكم بأنه نفس . @ فإذا كان العقل وحده ليس كافياً لتكوين النفس ، وليس الجسم شيئاً أساسياً للنفس، فإنه لن يتسنى لنا تعريف الفردية . ويرى بورتر أنه لا شيء له طبيعة عقلية أو

---

1 - Ibid PP : 121 – 122 . الترجمة ص ١٠ ــ ١١ .

2 - Bergson H . L , evolution Creatrice [Presses Universitatier de France , 1948] P : 140 .

(٣) دكتور : محمود فهمي زيدان - في النفس والجسد ــ بحث في الفلسفة المعاصرة [دار الجامعات المصرية ١٩٧٧] ص ٢١ ــ ٢٢ .

@ A disembodied mind cannot be identified as a self

فيزيائية من المقومات التي تجعل الشخص يحتفظ بهويته طيلة حياته . وعلى الرغم من استمرار أعضاء جسمنا في أداء نفس وظائفها طوال حياتنا ، إلا أن تكويننا يتعرض للتغير . وتصاب قدراتنا الذهنية بتحولات مماثلة تؤثر في جميع مكونات أفكارنا وميولنا .

فإذا كان الشخص يتغير في جميع جوانبه فمعنى هذا لا يظل نفس الشخص ، ولكنه يمثل منظومة من مختلف النفوس في أزمنة شتى ، ويترتب على ذلك ألا يكون الأشخاص مسئولين عن نفوسهم السالفة ، ولن تكون نفوسهم ملزمة بالوفاء بالعهد مستقبلاً [1] وخلاصة هذا أنه لا يوجد تعريف محدد ودقيق للفردية ، فالتغيرات الفيزيائية أو العقلية أو الاعتماد على شيء ثابت ليست من المقومات التي تنطبق على الفردية .

ثالثاً : المغالطة الطبيعية وأخلاق النزعة الطبيعية :

إن المغالطة الطبيعية تعمل عملها أيضاً في داخل أخلاقيات النزعة الطبيعية وذلك باشتقاقها القيم من الوقائع ويرجع السبب في هذا إلى عدم مراعاة معيار المعقولية ، فكان مصير أخلاق النزعة الطبيعية شأنه شأن مصير أخلاق السعادة .

يرى بورتر في بحثه عن أخلاقيات النزعة الطبيعية أنها تتخذ ثلاث صور رئيسية *أولاً:* أنها من الناحية الفيزيائية العيش وفق الطبيعة وإشباع احتياجاتنا الأساسية بسبل أولية بسيطة ، ويمثل هذه النظرة الطبيعية هنري ديفيد سورو وبعض الشعراء الرومانتيكيين في القرن التاسع عشر والحركة المعاصرة (العودة إلى الطبيعة) . *وثانياً :* إتباع الروح السامية في الطبيعة والاهتداء إلى طابعها الفطري وقوانينها ، وسبلها ، وتمثل هذه النظرة النزعة الترانسندنتالية الأمريكية ، والنزعة الترانسندنتالية في روما القديمة . *وثالثاً :* معاونة التطور الطبيعي للحياة بوصفه قد تقدم وانتشر عبر التاريخ البيولوجي ، وعدم معارضة سيره الديناميكي ونزوعه، وانطلاقه نحو وجود أعظم . فتميز المذهب النشوئي بهذا التفسير الأخير وكذلك إلى حد ما ـ النزعة الهيجلية [2] . وسنحاول

---

1 - Porter B . F . The Good Life PP : 122 – 123 .

ـ بورتر ـ *الحياة الكريمة* ـ ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود ـ الجزء الثاني ص١٢ ـ ١٦ .

2 - Ibid P : 141 . الترجمة ص ٣٧ .

الآن إلقاء مزيد من الضوء حول هذه العناصر الثلاث لبيان كيف انتهت كلها إلى المغالطة الطبيعية .

وبالنسبة للحياة الطبيعية يبدو أن الحضارة في روعتها وعظيم سلطانها وما أوتيت من قوة لم تستطع أن تسكت صوت الطبيعة نهائياً ، وإن الطبيعة تفرض سحرها علينا دائماً . وأولئك الذين هموا بالدفاع عنها ، ركزوا كل جهودهم حول القيم المتصلة بتلك الحياة الطبيعية . ووجدوا في الحياة الريفية ملاذا لهم حيث كل شيء طبيعي في المأكل والمشرب وجمال الطبيعة وصفاء الجو ونقائه . ورأى هؤلاء أيضاً أن الاستمتاع بالطبيعة وهدوئها وراحة البال أفضل بكثير من الإطلاع على الكتب العلمية [1] إن حركة مسايرة الطبيعة باهتمامها بالقيم المتصلة بالطبيعة لم تستطع أن تفلت من مصيرها المحتوم أعني الاندفاع إلى المغالطة الطبيعية . إن هذا النوع من الأخلاقيات الطبيعية لم يستطع أن يوجد انسجاماً وتناغماً بين مفهوم الحياة الخيرة والسلوك الذي يعد حقاً .

ويدخل في إطار أخلاقيات النزعة الطبيعية البحث في طبيعة النزعة الترانسندنتالية، ويرى بورتر أن النزعة الترانسندنتالية Transcendentalism ممثلة في أميرسون ترى أن القانون الطبيعي يوجد في جوف الطبيعة . ولكي ندرك الأعمال الباطنة للكون ، فإننا نحتاج إلى الإدراك الحدسي لأنه يقودنا وراء الظواهر الطبيعية الظاهرة . فالتأمل النسقي أو الاكتشافات العلمية يمكنها أن تقيم حججاً على دراستنا للوقائع الحاضرة لأن الطبيعة بكاملها تمثل مجازاً العقل الإنساني وفي الإنسان توجد روح الكل . وبالإضافة إلى تفتح عقولنا في داخل روح الطبيعة وخارجها ، فإن علينا أيضاً واجب تصحيح الظلم الموجه للإنسان في المجتمع المدني ، فالجرائم الموجهة للإنسانية هي خطايا ضد الطبيعة ، فالإنسان والطبيعة شيء واحد ، ويمكننا أن نثق في أحكامنا وأن نقيم ممارسات اجتماعية لأن ضميرنا يضرب بجذوره في القانون الطبيعي [2] . إن هذه النزعة الترانسندنتالية هي الأخرى كانت فريسة للمغالطة الطبيعية ، لأنها لم تحسب حساباً لقواعد

---

1 - Ibid PP : 143 – 146 .

الترجمة ص ٣٨ ــ ٣٩ .

2 - Ibid PP : 151 – 152 .

الترجمة ص ٥١ ــ ٥٢ .

المعقولية ، وهي أيضاً شأنها شأن غيرها من الأخلاقيات الطبيعية الأخرى لم تفلح في التأليف والتوفيق بين الحق والخير .

وآخر نوع من أنواع الأخلاقيات الطبيعية هي محاولة داروين واسبسر . يرى بورتر أن الدروانية قد استخلصت أخلاقها مباشرة من العالم الطبيعي ففي جوف الطبيعة وفي مجاهل الغابة حيث الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح وجدت الداروينية صور القانون الأخلاقي فنسجت على أساس قانون الغاب أنساقاً من القيم . وفي هذا يرى بورتر أن نظرية التطور النشوني قد اهتمت بتقديم نموذج واضح للسلوك الإنساني . ورأت مبادئ السلوك الذي ينبغي أن يهيمن على المعاملات الإنسانية على أنها مظهر للطبيعة من خلال قانون البقاء للأصلح ، وتتجلى الغاية الكلية للحياة في اندفاع الطبيعة نحو الوجود الدائم في أشكال أكثر تطوراً وارتقاءً ، فأي شيء يحافظ على بقاء صور الحياة الأكثر تعقيداً والأفضل تكاملاً يوصف بالخير ، وما يعوق التطور النشوني يعتبر شراً ولو تركنا قانون الغاب يعمل عمله بأن يبقى الأصلح وحده ، فإن سلوكنا عندئذ يكون صواباً لأن الاتجاه الرئيسي للنشوء يكون قد حقق الهدف منه ، ولكن لو تدخلنا في مسار النشوء بمعاونة الأضعف على البقاء ، فإن سلوكنا عندئذ يكون من الناحية الأخلاقية خاطئاً وبلسان حال النشونية فإن إتباع سبل الطبيعة تعني محاكاة الحياة الإنسانية لعمل القوانين الطبيعية وكذلك ضرورة تحقيق التقدم النشوني المتواصل [1] . وكما هو واضح فإن الأخلاقيات الداروينية هي الأخرى قد اشتقت أخلاقها من العالم الطبيعي ووضعت أنساقاً من القيم على أساس قانون الطبيعة ، فبهذه الصورة فإن هذه الأخلاقيات قد وقعت فريسة للمغالطة الطبيعية .

وفي إحدى رسائله إلى والس انتقد دارويين التجارب الباستينية واعتبرها مجتمعة غير ممكنة وحيث سمح بتصحيح فكرة الأركبيوسيس ، فإنه أعلن أن الجيل التلقائي ليس له أساس . فتبعاً لداروين فإن الحياة لابد أن تنشأ بطريقة ما ، ولكن كيف حدث هذا وظل مجهولاً [2] . ترتبط نظرية النشوء بالأخلاق بطريقتين مختلفتين : أولهما : تكون الأخلاق نتيجة لعملية النشوء . ثانيهما : أن النشوء يمكن أن يزود الأخلاق بالتوجيه العملي.

---

1 - Ibid PP : 167 – 168 . ـ الترجمة ص ٧٠ .

2 - Oparin A . I . The Origin Of Life [New York , 1953] P :45 .

فالافتراض الأول : هو أن قدرتنا الأخلاقية "وخز الضمير" وأفكارنا الأخلاقية تشتق من العمليات التي تلعب دوراً في العمليات العامة للنشوء وفي نهاية المطاف تشبه العمليات العامة للنشوء عن طريق "وخز الضمير" ويعني قدرة الكائنات البشرية على إصدار أحكام أخلاقية يمكن إذن أن تبعث على الفعل . والافتراض الثاني : المتصل بالأخلاق والنشوء ، وهو باختصار أن دراسة النشوء يمكن أن توجه من أجل الأخلاق ، إن هذا الاقتراح لا مكان له في أعمال داروين ، ولكن الأفكار التي تحرز تقدماً شديداً في أي ميدان للاستعلام تعد تجربة للآخرين وغالباً فإن الخطوة الأولى في التأمل الفلسفي ، ونظرية داروين في النشوء تصدران عن الفلسفات الأخلاقية والميتافيزيقية [1] . أما اسبنسر فشأنه شأن غيره من التطوريين كما يرى بورتر ، إنه اهتم بكل تأكيد بإطالة أمد الجنس البشري ، الإبقاء على معيشة الأفراد . ويرى أن البقاء شرط ضروري وبدونه تصبح جميع القيم الأخرى أمراً مستحيلاً. إنه يشدد على "روح الحياة" "Breadth Of Life" وامتلائها ويخصها بمكانة فريدة باعتبارها قيمة سامية وهدفاً للتطور . واعتقد بأن روح الحياة الهائلة تنزع إلى زيادة طول العمر . لم يكن يقصد اسبنسر بروح الحياة مجرد الوجود الأكثر تعقيداً أو تنوعاً وإنما الوجود الأخلاقي أيضاً الذي يأخذ في حسبانه التطور الملائم للجنس ، ورأى أن التطور يتجه نحو امتلاء الحياة التي تنطوي على الاهتمام برفاهية الآخرين . وطبقاً لاسبنسر فإن خط التطور لا يقود إلى الفردية الأنانية ، وإنما إلى التعاون والجماعة وهما أساسيان لبقاء الكائنات الإنسانية وإشباع احتياجاتها الفردية والجماعية .

وثمة نقطة نود الإشارة إليها وهي اقتران مذهب النشوء بمذهب اللذة ، فاسبنسر لم يوافق على إتباع اللذة في ذاتها ولكن دافع عن الأفعال التي تقود إلى التطور النشوني الأسمى وتلك هي السعادة مصحوبة باللذة . فاللذة دائماً نتيجة وليست هدفاً نهائياً .

ثمة موازاة هامة بين تهذيب اسبنسر لأخلاق التطور في مصطلح روح الحياة وبين إضافة جون استيوارت مل اعتبارات الكيف لمذهب اللذة . وبذلك يكون كل من " مل واسبنسر " قد حاولا كل منهما بطريقته الخاصة رفع مستوى النظرية الأخلاقية التي

1 - Rephael d . D . Moral Philosophy PPP : 115 – 121 – 122 .

تمسكا بها وحاولا العلو بها حتى تصلح مثلاً أعلى للحياة الإنسانية ، حيث اختار الاثنان الكيف ووضعاه فوق الكم باعتباره العامل الأهم في الوجود [1].

وبمناسبة الكلام عن الأخلاق التطورية أعلن بورتر أن النزعة الهيجلية يمكن - إلى حد ما - أن تنتمي إلى هذا النوع من الأخلاقيات الطبيعية [2] . ومن هذا المنطلق ينبغي علينا أن نميز بين النزعة الهيجلية في صورتها التطورية وبين نزعة داروين واسبنسر . فنظرية التطور عند هيجل تتدرج في نظام منطقي من الصور الدنيا إلى الصورة العليا . وكل مرحلة من مراحل الطبيعة تعقب الأخرى في نظام منطقي . بينما التطور عند داروين واقعة تحدث في الزمان [3] إذن يتجلى الفارق الجوهري بين هذين الموقفين في أن النزعة الهيجلية تقيم التطور على أساس عقلي ، بينما التطور أو النشوء عند داروين واسبنسر يقوم على أساس زمني .

لقد انتهى بورتر إلى وجود سمة مشتركة في أخلاق السعادة وأخلاقيات النزعة الطبيعية وهي المغالطة الطبيعية . فإلى نفس المصير الذي هوت إليه الأخلاق النفعية اندفعت أيضاً الأخلاقيات الطبيعية ، وبدلاً من البحث عن المبدأ الأخلاقي الصحيح اشتقت هذه الأخلاقيات القيم من الوقائع . فأولاً : أخفقت حركة موافقة الطبيعة حين تصورت أن كل ما تجود به الطبيعة خير ونسيت أن الطبيعة قوة مدمرة بلا حدود . وثانياً : إن كل النظريات الطبيعية ارتكبت خطأ طبيعياً جسيماً عندما تحدثت عن الأخلاق ، إذ إنها أكدت على أن السلوك الذي يطابق واقعة طبيعية معينة يكون حقاً ، سواء أعلن أن هذه الحقيقة ذات طابع حتمي مسبق للأحداث ، أو العمليات التطورية وما شابه ذلك . فالظاهر كما يرى بورتر أنه لابد من النظر إلى ما وراء الطبيعة ، لو أننا أردنا الحصول على قاعدة صحيحة

---

1 - Porter B . F . The Good Life PP : 171 – 174 .
- بورتر - الحياة الكريمة - ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود - الجزء الثاني ٧٤ - ٧٨ .
2 - Ibid P : 141 . الترجمة ص ٣٧ .

3 - Stace W.T . The Philosophy Of Hegel , [New York 1955] P : 313 .
ولتر ستيس - فلسفة هيجل - ترجمة دكتور إمام عبد الفتاح إمام (دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٨٠) .

تؤسس الأحكام الأخلاقية [1] تلك هي وجهة نظر بورتر في نظريات الحياة الخيرة ، وعلينا الآن أن ننظر معه في طبيعة الأخلاقيات الدنطولوجية .

النظرية الدنطولوجية

اكتشف بورتر في النظريات التي بحثها حتى الآن وجود تباين وتصدع بين تصور الخير ومفهوم السلوك الذي يعتبر حقاً ، ففي حين أخفقت نظرية اللذة وتحقيق الذات والنزعة الطبيعية في التوفيق والتأليف بين الحق والخير نهضت أخلاق الواجب والأخلاق الدينية بهذه العلاقة بحيث أصبح ما هو حق تعريفاً لما هو خير بمعنى أن الحياة الخيرة تعرف بأنها الحياة التي يؤدي فيها الناس أفعالاً حقه . ويرى بورتر أن أخلاقيات الواجب والأخلاقيات الدينية تعتبر داخلة ضمن مقولة النظريات الدنطولوجية التي تؤكد على فعل ما هو حق بصورة قاطعة لأنه حق . وتؤكد الأخلاقيات الدنطولوجية بأن القواعد والأفعال تكون حقه طبقاً لما تنطوي عليه من خصائص معينة ، ولهذا السبب يجب أن نقبلها بوصفها التزامات في حياتنا.

ويميز بورتر بين الفعل الدنطولوجي والقاعدة الدنطولوجية فيقرر أن نظرية الفعل الدنطولوجي تزعم بأن تأمل المواقف الجزئية سيطلعنا على أحكام ذلك الفعل الذي يناسب زماناً ومكاناً بالذات . ومع هذا فليس ثمة قواعد عامة يمكن الرجوع إليها في تحديد كيف يكون مسلكنا ، وينظر إلى كل موقف على أنه متفرد ومتميز عن غيره . بينما تحتفظ دنطولوجية القاعدة دائماً بمكانة الصدارة للمبادئ العامة على الأحكام الجزئية وتعرفنا أي الأفعال تناسب ظروفاً معينة فلابد أن ننتقل من العام إلى الخاص ، وأن نستخلص التزاماتنا في الأحوال المختلفة من القواعد العريضة للسلوك التي تغطيها [2] . وخلاصة هذا أن مشكلة نظريات الحياة الخيرة تكمن في التباين والانفصال بين ما هو حق وما هو خير . بينما نهضت دنطولوجية القاعدة ودنطولوجية الفعل بهذه العلاقة .

نظرية الواجب نحو الإنسان والواجب نحو الله :

أولاً : - نظريات الواجب نحو الإنسان (كانط) :

1 - Porter B . F . The Good Life PP : 176 – 177 .
– بورتر – الحياة الكريمة – ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود – الجزء الثاني ص ٨١ – ٨٢ .
2 - Ibid PP : 179 – 181 .

وحول الأخلاق عند كانط بصفة عامة في كتابه " أسس ميتافيزيقا الأخلاق " بالذات كتب كانط " ليس ثمة شيء يمكن تصوره في العالم يمكن أن يطلق عليه خير بلا قيد ماعدا الإرادة الخيرة " (١).

وبتحليل نص كانط نرى أن بورتر انتهى إلى التشديد على أن الأخلاق عند كانط توجد في إطار النزعة المقصدية وليست النزعة الغائية (٢) ويرى بورتر أن كانط قد دافع عن اتجاه العيش المناسب الذي نؤدي من خلاله أفعالاً يمكن أن تتدرج تحت قاعدة كلية للسلوك . فالفعل لا يوصف بأنه حق لأنه يقود إلى نتائج خيرة ، أو لأنه يتبع بواعث أخلاقية . فالإرادة الخيرة وحدها هي التي تستحق المدح ، ويعني ذلك العمل بعد الاحترام المجرد للقانون الأخلاقي . وينبغي علينا أن نعامل الناس أساساً كغايات وليس كوسائل ، وعلاوة على ذلك يتعين علينا أن نتأكد أن سلوكنا يخضع لمبادئ يمكن الدفاع عنها من أجل البشرية برمتها بصفة قاطعة ، وبلا شرط (٣) . إذن دافع كانط عن القواعد التي توصف بالكلية ، هذا ما أكد عليه بورتر وما استخلصه من أسس ميتافيزيقا الأخلاق لكانط.

ويلاحظ دوبرنيل أن كانط لا يعطي صفة الطابع الأخلاقي الإلزامي إلا للقواعد التي تفرض نفسها على الأقل بوصفها كلية ، أي لا تقبل أي استثناء . لكن يلاحظ أن كل القواعد - أيا كانت - يمكن ، أو بالأحرى : يجب أن تصاغ على شكل قاعدة كلية : ويكفي أن ندخل الاستثناءات التي نريدها في داخل الصيغة نفسها . فمثلاً القاعدة : " أنت لا تستطيع أن تتخلص بنفسك من حياتك "تصير" فيما عدا الحالة التي فيها يكون الدافع هو الاهتمام بإنقاذ حياة شخص آخر ، فإنك لا تستطيع أن تتخلص بنفسك من حياتك . وقد

---

1 - Porter B.F. The Good Life P : 181 . الترجمة - الجزء الثاني ص ٨٦ .
اما نويل كانط - تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق
ترجمه دكتور / عبد الغفار مكاوي - الطبعة الثانية -[الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠]
ص ١٧ .

2 - porter B . F . The Good Life P : 181 .
بورتر - الحياة الكريمة - ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود - الجزء الثاني ص ٨٦ .

3 - Ibid P : 186 . الترجمة ص ٨٦ .

اعترف كانط نفسه بوجاهة هذا الاستثناء . كذلك يمكن أن نصوغ قواعد على النحو التالي فيما عدا الحالة التي يكون فيها الحياة عاراً ، فإنك لا تستطيع أن تتخلص بنفسك من حياتك [1] . إذن فالقواعد المطلقة عند كانط لا تقبل الاستثناء .

إن المبادئ الأخلاقية عند كانط كما يصورها بورتر تندرج في نظام هرمي ويعلوها جميعاً مبدأ المحافظة على الحياة البشرية فهو المبدأ الأخلاقي الأساسي ويليه مبدأ قول الصدق . بيد أن بورتر يرفض هذه النظرة ويقرر أن المواقف هي التي تحدد تفوق مبدأ بالذات على غيره من المبادئ الأخرى ، فأحياناً يعلو مبدأ قول الصدق على مبدأ المحافظة على الحياة البشرية . وفي مواقف أخري يكون العكس وقد يأتي مبدأ آخر ويتخذ الصدارة. إذن فطبيعة الموقف هي التي تحدد المبدأ الأسمى . إن هذا الترتيب الهرمي عند كانط يعبر عن التعرض والصراع بين المبادئ الأخلاقية وعلى هذا النحو يستحيل وضع نظام هرمي محدد ودقيق للقيم . وينتقد بورتر مسألة وجود مبدأ أخلاقي يمكن تطبيقه بلا استثناء . ليس ثمة قواعد يمكن العثور عليها توصف بالكلية . فكل قاعدة يندرج تحتها مجموعة معينة من الحالات - قد تكون أغلبية - ولكن لا يجوز اعتبار أية قاعدة منها صالحة أو قابلة للتطبيق في كل الظروف [2] . تلك هي بعض الانتقادات التي وجهها بورتر للأخلاق عند كانط .

ويقودنا بورتر إلى مسألة الحق والخير فيقول " إن الفعل الذي يتميز بأحقيته في صميمه يجب أن يتبع دوماً ، وأن كل ما باستطاعتنا إقراره كمسلك كلي يعتبر حقاً بناء على ذلك ويبدو أي معيار سلوكي من هذا القبيل معقولاً ويتوافق ومفهومنا للأخلاق . فالعيش وفقاً لما هو حق يبدو أسمى من الأهداف التي تدعو إلى البلوغ باللذة حدها الأقصى . أو إنماء قدراتنا ، أو العيش المساير للطبيعة . إذ يكاد الهدف الأخير بالمقارنة يظهر بمظهر تافه وشديد الاستغراق في الذات [3] ومن هنا نلاحظ أن الدنطولوجية لم

---

١ – دكتور عبد الرحمن بدوي – الأخلاق النظرية (وكالة المطبوعات ١٩٧٥) ص ٢٩ .

2 - porter B . F . The Good Life , P : 187 .

بورتر – الحياة الكريمة – ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود – الجزء الثاني ص ٩٢ – ٩٣ .

3 - ibid P : 190 . الترجمة ص ٩٧ – ٩٨ .

تفصل بين مفهوم الحق وتصورات الخير ، فهذه العلاقة قائمة في الأخلاقيات الدنطولوجية ، وهذا ما أكدت عليه الأخلاق عند كانط ، والأخلاق الدينية . بيد أن الأمر على خلاف ذلك في نظريات الحياة الخيرة . فالعيش بإتباع ما هو حق يبدو أرقى وأفضل من الأهداف التي تقود إلى الاستغراق الشديد في الذات .

ثانياً : - الواجب نحو الله (الأخلاقيات الدينية) :

تتجلى الصلة والعلاقة بين الحق والخير واضحة في الأخلاقيات الدينية . ففي الأخلاقيات الكانطية - كما يرى بورتر - يتألف واجبنا من إتباع أنماط معينة من السلوك لأننا ندرك أنها توصف بإتباعها للحق والموضوعية . وفي الأخلاقيات الدينية أننا مطالبون بأداء الأفعال التي تتخذ طابع الإرادة الإلهية ، وتتصف النظريتان بالدنطولوجية لأنهما تؤكدان خصائص معينة في السلوك تفرض علينا الإلزام الأخلاقي ، وأنهما تنكران إرجاع أخلاقية الأفعال إلى نتائجها . ويؤكد بورتر أن الأخلاقيات الكانطية والأخلاقيات الدينية تعدان مثلين لدنطولوجية (القاعدة) لأنهما تعتبران المبادئ والقواعد هي التي تتصف بالحق في صميمها . وينظر إلى الحركة اللاهوتية الحديثة العهد لأخلاقيات المواقف على أنها استثناء ، لأنها تتأرجح بين دنطولوجية (الفعل) والغائية في أكمل أحوالها . وتعد هذه الأخلاقيات تبعاً لعلماء " اللاهوت المعاصرين " أخلاقيات مواقف " بمعنى أن تطبيق أي مبدأ بالذات أو أية قيمة يتوقف على الموقف أو السياق . وعلى النقيض من كانط ، فإن أخلاقيات المواقف لا تشجب بالضرورة الانتحار أو الكذب طالما أن الظروف قد تقتضيها والإخلاص والأمانة والشرف وحتى الحياة ذاتها ربما تتعرض للفقدان من أجل غاية أخلاقية عملية خيرة . فليس ثمة مبدأ أخلاقي يكون حقاً للممارسة بصورة كلية ولكن كل مبدأ أخلاقي يكتسب مصداقيته في إطار سياق محدد يجعله صالحاً للاستخدام ويجعله شرعياً [1] .

الترجمة ص ١٠١ ــ ١١٤ .

1 - Ibid PP : 193 – 203 .

نتائـــج البحث

وفي ضوء هدف هذه الدراسة وهو البحث في العلاقة بين الحق والخير الأخلاقيين وكيف نشأت المغالطة الطبيعية والاستغراق في الذات كبديلتين للأخلاق نتيجة لاختلال التوازن بين عالم الحق وعالم الخير وبيان كيف كان تصور بورتر للعلاقة بين السلوك الذي يوصف بأنه حق وبين السلوك الذي يوصف بأنه خير في فلسفته عن الخير . فقد انتهت الدراسة إلى النتائج الآتية :

أولا : إن الأخلاق الحقيقية هي الأخلاق التي تتبع دائماً معايير المعقولية وتعمل أيضاً على إيجاد انسجام وتفاهم بين الحق والخير . وعلى العكس من ذلك فإن الأخلاق التي استبعدت هذين العاملين كانت فريسة إما للمغالطة الطبيعية أو الاستغراق في الذات ، وهذا ما حدث للأخلاق النفعية وأخلاق تحقيق الذات والأخلاق الطبيعية . وفي حين أخفقت نظرية اللذة وتحقيق الذات والنزعة الطبيعية في التوفيق والتأليف بين الحق والخير، نهضت أخلاق الواجب والأخلاق الدينية بهذه العلاقة .

ثانياً : إن الأخلاق النفعية أخفقت لعدم مراعاتها معايير المعقولية في إيجاد علاقة صحيحة بين ما هو "حق" وما هو "خير" . وتنحصر مشكلة هذه الأخلاق النفعية في وجود انفصال بين مفهوم الحياة الخيرة وتصور السلوك الذي يعد حقاً . إن الأخلاق النفعية يعوزها التوافق مع نفسها وأنها قد منيت بانتكاسة شديدة حين اشتقت القيم من الوقائع أي أنها كانت فريسة للمغالطة الطبيعية . "فاللذة" هي أساس الأخلاق النفعية يستحيل التعبير عنها بلغة الكم . ومن ثم فلا سبيل إلى إقامة علم أخلاق حسابي . والخطأ الذي وضع بنتام نفسه فيه هو الخلط بين اللذة والأخلاق . ومل شأنه شأن بنتام الذي اشتق القيم من الوقائع . وبإضافة عامل الكيف إلى الأخلاق النفعية فإن مل قد تجاوز حدود المذهب النفعي .

ثالثاً : أما نظرية تحقيق الذات فإنها تختلف عما هو حق . لأنها لم تتبع قواعد المعقولية . لذا فإنها كانت غارقة في الذات ، فنظرية تحقيق الذات على هذا النحو لا يمكنها أن تقبح الأفعال اللاأخلاقية التي تقود إلى تحقيق الحاجات والمصالح الأولية

لشخص ما . وفي كثير من المواقف ، وعندما نحقق ذواتنا لا نتصرف بطريقة صحيحة ، ولو أن مذهب تحقيق الذات اضطر بطبيعته إلى قبول مثل هذا السلوك ، فإنه عندئذ سيكون قد ارتكب نقصاً أخلاقياً فادحاً .

رابعاً : توجد سمة مشتركة في أخلاق السعادة وأخلاقيات النزعة الطبيعية وهي "المغالطة الطبيعية " فإلى نفس المصير الذي هوت إليه الأخلاق النفعية اندفعت أيضاً الأخلاقيات الطبيعية ، وبدلاً من البحث عن المبدأ الأخلاقي الصحيح اشتقت هذه الأخلاقيات القيم من الوقائع . فمن ناحية : أخفقت حركة موافقة الطبيعة حين تصورت أن كل ما تجود به الطبيعة خير وأغفلت أن الطبيعة قوة مدمرة بلا حدود . ومن ناحية أخرى : إن كل النظريات الطبيعية ارتكبت خطأ طبيعياً جسيماً عندما تحدثت عن الأخلاق ، إذ أنها أكدت على أن السلوك الذي يطابق واقعة طبيعية معينة يكون "حقاً" سواء أعلن أن هذه الحقيقة ذات طابع حتمي مسبق للأحداث ، أو العمليات التطورية وغير ذلك .

خامساً : إن النظريات الدنطولوجية " أخلاقيات الواجب " و " الأخلاقيات الدينية " تؤكد على فعل ما هو حق بصورة قاطعة لأنه حق . كما تؤكد الأخلاقيات الدنطولوجية بأن القواعد والأفعال تكون حقه طبقاً لما تنطوي عليه من خصائص معينة ، ولهذا السبب فيجب أن نقبلها بوصفها التزامات في حياتنا .

سادساً : إذا كانت الأخلاقيات الدنطولوجية قد نجحت في التوفيق والتأليف بين ما هو حق وما هو خير ، فإن الدنطولوجية الكانطية في ميدان الأخلاق قد أخفقت هي الأخرى في الوصول إلى المبدأ الأخلاقي الحقيقي ، حين تصورت أن المبادئ الأخلاقية تندرج في نظام هرمي ويعلوها جميعاً مبدأ المحافظة على الحياة البشرية فهو المبدأ الأخلاقي الأساسي ويليه مبدأ قول الصدق . فالمواقف هي التي تحدد تفوق مبدأ بالذات على غيره من المبادئ الأخرى ، فأحياناً يعلو مبدأ قول الصدق على مبدأ المحافظة على الحياة البشرية . وفي مواقف أخرى يكون العكس وقد يأتي مبدأ آخر ويتخذ الصدارة . إذن فطبيعة الموقف هي التي تحدد المبدأ الأسمى . إن هذا الترتيب الهرمي عند كانط يعبر عن التعارض والصراع بين المبادئ الأخلاقية وعلى هذا النحو يستحيل وضع نظام هرمي محدد ودقيق للقيم .

سابعاً : تتجلى الصلة والعلاقة بين الحق والخير واضحة في الأخلاقيات الدينية . ففي الأخلاقيات الكانطية ، يتألف واجبنا من إتباع أنماط معينة من السلوك لأننا ندرك أنها توصف باتباعها للحق والموضوعية . وفي الأخلاقيات الدينية إننا مطالبون بأداء الأفعال التي تتخذ طابع الإرادة الإلهية .

قائمة المراجع الأجنبية

أولاً : المصادر :

1 - Porter Burton . F . The Good Life – Alternatives in ethics – Collier Macmillan Publishers London , 1980

بورتر ـ الحياة الكريمة ـ ترجمة دكتور أحمد حمدي محمود ـ ج ١ ، ج ٢ ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣ .

2 – Porter Burton F . The Voice Of Reason [on line] Oxford University Press US, 2001 . Available From http./ / WWW . Books . google . Com [accessed 27 July 2006]

ثانيـــاً : المراجـــع :

1 – Aiken H . D . reason and Conduct – New York : Alfred A . Knopf , 1962 .

2– Bergson H . L . Evolution Creatrice , Press Universits de France , 1948 .

3– Ellis H . The Donce Of Life – The Modern Library , New York , 1929 .

4– Guthrie W . K . The Greek Philosophers from theles to Aristotle – Publishedas a university paperback , 1981 .

5 – Nacy – rosenblum – bentham's theory of the modern state , 1978 .

6 – Oparin A . I . The Orgin Of Life – New York , 1953 .

7– Raphael D . D . Moral Philosophy – Second , enlarged – edition – Oxford University Press , 1994 .

8 – Stace W . T . The Philosophy Of Hegel – New York , 1955 .

ولتر ستيس ـ فلسفة هيجل ـ ترجمة دكتور إمام عبد الفتاح إمام ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٨٠ .

9 – Weitz M . Twentieth Century Philosophy : The analytic tradition – Collier – Macmillan Limited ,London ,1968 .

ثالثاً :الإنترنت:

1– httb . // WWW . The Books . Google . Com

المراجـــع العربيـــة

١ ـ دكتور إمام عبد الفتاح إمام ـ " فلسفة الأخلاق" ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ ١٩٨٨ .

٢ ـ اما نويل كانط ـ "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" ـ ترجمة دكتور عبد الغفار مكاوي ـ الطبعة الثانية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ .

٣ ـ دكتور محمود فهمي زيدان ـ " في النفس والجسد " ـ بحث في الفلسفة المعاصرة ـ دار الجامعات المصرية ـ ١٩٧٧ .

٤ ـ دكتور عبد الرحمن بدوي ـ" الأخلاق النظرية " ـ وكالة المطبوعات ـ ١٩٧٥ .